اغتسال المدى

بلسم عباس

وأجيء من أيّ الدروب إلى مواسمكم
لأقطف نبضيَ المنساب
بين الماء والنيران،
بين الورد والأشواك،
بين غريزة الأعشاب في رئتي
وجوع الأرض في رئة الجدارْ!
وأجيء كيف إلى موائدكم؟
وقلبي عاجزٌ عن أن يكون الدورة الصغرى
لوهج دمائكم
والدمع لا يكفي لجرعة فارسٍ منكم،
ولحمي شائكٌ،
عشقي رغيفٌ يابسٌ،
وطحينكم أمسى عجين الشمس
تخبزه السماء فيولد القمر الشهيد
على تلال الروح
في تنّور هاتيك الدماء
مفجّراً في كل زاويةٍ من التاريخ أنهاراً
تفيض تعطُّشاً
لتلامس الأحرار ينتشرون أضواءً
على الميناء في بحر الجنوبْ. . .
وأجيء من أي الدروب؟
أأجيء من جُزر الدموع إلى سواحلكم؟
ورمل الشاطىء العربي يكويني،
وهل للمركب الورقيّ أن يطفو
على أمواج مجدٍ موغلٍ في الكونِ؟
هل لحطاميَ الأبديّ أن يرقى
إلى نجمٍ يعرّش فوقه
وجهٌ تزنّر بالصباحْ؟
هل للهشيم وسطوة النيران
من سُبُلٍ لحُبٍّ دائمٍ؟
هل للسواقي، إذ يجفّ حنينها،
أن تلتقي بالنهر يُطْلق للبحار ذراعه
تلتفّ طرّز نبضها خيط الأقاحْ؟
هل للعصافير السجينة من عناقٍ
في فضاء الجمر؟
هل من فسحةٍ للعشق
ما بين التشرد والنواحْ؟
من أيّ ناحيةٍ أجيءُ؟
والخيل تكبو عند أول خطوةٍ
يمتدّ حبل الريح
ينبت في حوافرها لظىً وأنين ماءْ!
ويضيق صدر الرمل
يلهث نافخاً في الأفق
أنفاساً مطرّزةً بأوجاع المراكب
ضيّعتْ ميناءها،
بعويل صخرٍ تحت إبط الشمس محمولٍ،
بزفرة موجةٍ
يهتزّ فوق لهيبها عنق السماءْ!. .
ألخيل تكبو
غير أن الساحر النبويَّ فارِسَها،
يهز الشاطىء العربيّ
يبني مربضاً للحلم،
يعلو ثم يعلو راسماً للشمس غُرّتها
وللأحلام متكأً
ليغتسل المدى،
ويعود من وجع التشرد
فارساً لَجَمَ الأغاني المُتْعَبَهْ. . .
ويطلّ من نافورةٍ عربيةٍ
فوق اشتعال المصطبهْ. . .

بيروت